

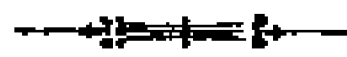
قدي . واحرقني حرّ الهجيرة واستنزف ينبوع الحياة في . لم تعد ترطب
زهرتي بماء الايمان والرجاء فذبلت زهوري وتساقطت على الارض ذاوية
فنثرها الهواء في كل الانحاء ... كل هذا وانت لا ترحم ولا تشفق . اما
الآن فما قد جمد الدم في عروقي وعلا جبهتي اصفرار الموت فأتيت
اودعك الوداع الابدّي الاخير !... »

فصرخت صرخة اليأس :

« لا . لا تموتين بل تعيشين » فلم تنبس بينت شفة ، فاردفت قائلاً
« ومن تكونين ايتها المخلوقة العجيبة : ... ؟ »

فقلت :

« يا اخي انا لست الآن شيئاً ... لكنني كنت زهرة شبابك »
قالت وتوارت عني في غيوم السماء فمددت يدي فلم اقبض الا على
زهور سقطت من اكليلها الوردي فاخذتها فاذا هي ذابلة لا اُرفيها
لطيبها السابق ولنضارتها السالفة . فذرفت دموع الندامة وهتفت :
« ربي اقبل توبتي وامح خطيئتي وانسل ذنوبي يا ارحم الراحمين !... »



❦ الى السراية الصفراء ❦

تدل الاحصاءات الأخيرة في كل مملكة من العالم المعروف على ان
عدد المجانين يزداد يوماً عن يوم وهي نظرية تخالف المؤلف فان
العالم كما نعتقد في تقدم الى الامام نحو المدنية والرقى العقلي ولا أدري ما

معنى هذا التقدم الى الرقي العقلي مع ازدياد عدد المجانين : : : مسألة فيها نظر

محسوس بل ولمحسوس باليد تقدم الصناعة ومشاهد بالعين تفوق
المكتشفين والمخترعين عن اسلافهم اذ لا أظن ان ابن آدم سبق فاخترع
المنطاد او اكتشف الكهرباء في حقب الزمان الغابر او عثر على مجاهل
الارض او اخترق اللحم باشعة فنظر العظم او استأصل المعدة وعمل جهازاً
لحياة صاحبها فعاش بدونها او تطرف في الابحاث الكهربائية فكلم أخاه
على بعد شاسع بلا واسطة او استخدمها لنقل صورة المتكلم في ثوان لتظهر
أمام المخاطب

مع الاعتراف بكل ذلك لا أدري معنى لهذا التقدم مع ازدياد عدد
المجانين الا اذا كان ازدياد عددهم يعد تقدماً للمجنون : : : او ان اكون أنا
مجنوناً هربت من السراية الصفراء ولا عجب فكم بين الغير محبوسين بها
من هم اجدر وأولى بدخولهم فيها مصفدين بالحديد مقيدون بالاغلال
روى لي أحد الثقة ان رجلاً كان يدعى علي كچك من نسل
الأتراك الذين تمصروا يسكن حياً بالقاهرة من الاحياء الوطنية خرج يوم
جمعة للصلاة بالمسجد فلقية رهط ممن لا خلاق لهم - وكثير ما هم -
فابتدروه بقولهم « علي كشكش » وما زالوا به حتى خلص منهم بدخوله
الى المسجد . حبس نفسه في بيته شهرين وظن بعد ذلك ان الرهط
انقشع او نسيه فخرج في يوم جمعة الى المسجد ولكن القوم قابلوه بمثل ما
فعلوا وزادوا على ذلك قولهم « حرامي المشمش » وما زالوا به حتى جنّ

الرجل فتناول حجراً وضرب به أحدهم فشج رأسه فاستاقوه الى المخفر
ومنه الى المحكمة حيث كان المرحوم الشيخ محمد عبده على كرسي القضاء
الأهلي ولما سأله القاضي عن جرمه اعترف ولم يجحده ولكنه قال انه فعل
ذلك عن سبب فسأله القاضي عن السبب فقال « صلّ على النبي » فاجابه
الامام فكرر الرجل طلب الصلاة على النبي مراراً والامام يجيبه الى ان
ملّ القاضي من هذه المطاولة فقال ألا تقص السبب ؟ فقال المجرم اذا
كنت وأنت الامام المعروف مللت الصلاة على النبي أفلا أملّ انا من
صياح هؤلاء خلفي بما اكره ؟

هذا هو احد المجانين جن من الناس وراح فريسة اخيه الانسان
لا ذنباً جنى ولا جرماً ارتكب ولا حشيشاً تعاطى ولا شأواً قصده فلم
يدركه فكأنما كلما تقدم الانسان تأخر وكما داوينا جرحاً سال جرح
دخلت طور الكهولة وعركت شطراً طويلاً من الدهر وعاشت
الناس اجناساً متعددة باخلاق متباينة — عاشرتهم حسب اخلاقهم واني
اقسم بمن يرحم روح المسكين « حرامي الشمس » اني عيت عن درس
طباعهم ومعرفة طلباتهم

يسضك احدهم بنايه ويجهك لانك لا تصلي ويقول لمن حوله
« أيبه » فان صلاة العشاء قد وجبت !!!

يذكر احدهم اخاه الانسان في غيبته ذكراً مؤلماً حتى ليكاد يبكي
من حدته وحتى تظن انه اذا قابله قتله ، وقبل ان يتم اغتيابه يحضر ذلك
المذكور بالسوء فيقفز المغتاب دون الجماعة للقياء ويأخذه ملّ حضنه

ويقبله عشراً ويحمله ويفسح له مكاناً بجانبه ويشرب نخبه !!!
يسمع الجالسون ذلك ويرونه ولا يجراً احدهم على صفع ذلك
المغتتاب الاثيم بل يسكت وهو بسكوته يساعد على انتشار الرذيلة
ياخذك احدهم على معزل ويقول لك انه يريد ان يكلمك في امر
ذي شأن ولكنه سري جداً ويهمك الاطلاع عليه حتى اذا ما شوقك
الى سماعه استحلفك بالطلاق ان لا تبوح به لأحد فاذا فعلت وحلفت
قال لك ان فلاناً قال عنك كذا وكذا وكذا فتصبح في حيرة لا انت
بالتقادر على مناقشة المغتتاب الحساب لانك مقيد بالحلف ولا انت بالتقادر
على كظم غيظك فتبتلى بمرض في فكري فتجن فتساق الى السراية
الصفراء ولا ادري على من يكون الذنب في جنونك — أعل المغتتاب أم
الجالسين معه الذين تجردوا من الشجاعة الادبية أم ذلك الذي بلغك
فكسر قلبك ؟

تضيق نفسك ليلة فتذهب الى محل التمثيل عسى ان يذهب بهمك
فتجد المكان غاصاً بجمهور المتفرجين فيشرح صدرك وتظن اننا عرفنا
ان نقضي سهراتنا حتى اذا بدأ التمثيل ووصل الممثل الى قطعة محزنة مثل
موت « روميو » على قبر حبيبته « جوليت » ثم موت « جوليت »
ظهرت لك اخلاق القوم بكل مظهرها اذ ترى الجمع وقد اختبط —
تسمع تصفيقاً حاداً وطلب استعادة تلك القطعة المحزنة ليس لأن الممثل
او الممثلة اجاد او احسنت بل لظنهم ان تلك التأوهات التي مثلتها الممثلة
احسن تمثيل انما هي خلاعة منها — ذلك لانهم لم يفقهوا معنى لما سمعوا —

ترى ذلك وتسمعهُ فتذهب الى بيتك محمواً بحمي دماغية فتجن فتؤخذ
الى السراية الصفراء

تجول بطرفك بين من حولك فتجد شباكاً منصوبة للكيد بك
خيوطها بأيدي من احسنت اليهم فتصرف وقتك في التفكير فيما عساه
ان يكون سبباً لا انقلاب ذلك الاحسان الى هذه الاساءة فلا تجد سبيلاً
لحل المعضلة فيختلط عليك الأمر فتجن فتؤخذ الى السراية الصفراء

تسمع السارق يفتخر امام الجمهور بسرقة والزاني يحدث الناس
بمخادع فحشه وفجر العاهرات معه والسكير يزهو على الحضور بنموذج
عربدته والكاذب يضحك من حوله بنكات كذبه — فاذا ما وجهت
بلومك الى احدهم هب الجمع المحتشد حولهم ورموك بالغلظة وسوء الخلق
ونسبوا أولئك المجرمين خلفه الروح والدم . فكأنما الناس قد أجمعوا امرهم
على استحسان المنكر فاذا كنت حراً يجري في عروقك دم أحمر جنت
فتؤخذ الى السراية الصفراء

احبس نفسك في بيتك بين اولادك او كتبك واذا مررت بقوم
فرّ بهم من الكرام ولا تختلط بهم تعش سعيداً ، او فجّز وصيتك اذا
اردت الاختلاط بالناس لانك ستجن حتماً وتساق الى السراية الصفراء

محمد فاضل

عطبره (السودان)

